دور التربية في عملية تنشئة الطفل

بوطاف علي

جامعة الجزائر2

ملخص:

إن قيمة الأسرة تتضح في كونها توفر للطفل بيئة إنسانية اجتماعية، فالأطفال الذين حرموا من الرعاية الأسرية ممن نشئوا في مؤسسات دور ورعاية، أيا كان دورها ومستواها تضررت لديهم معظم جوانب النمو في شخصياتهم ابتداء من النمو الجسمي وانتهاء بالنمو الخلقي والاجتماعي مرورا بالنمو اللغوي والمعرفي والانفعالي، أما الأطفال الذين حرموا من الرعاية الإنسانية بالكامل والذين عاشوا من بداية حياتهم لظرف أو لآخر في بيئات لا إنسانية، فالتنشئة الاجتماعية هي جزء من التربية وهي أشمل منها، نحاول من خلال هذه الورقة التحليلية إبراز دور التربية في عملية التنشئة.

الكلمات المفتاحية: التربية- التنشئة الاجتماعية- الاسرة

مقدمة

يقصد بالتربية تحويل الكائن البيولوجي إلى شخص اجتماعي عبر جماعات اجتماعية متنوعة لكنها مترابطة في وظائفها (معن خليل عمر، 2004، 18). فالتنشئة الاجتماعية هي من تقوم بتحويل الطفل من كائن بيولوجي تدور محور انفعالاته كلها حول آمه، إلى كائن بشري بالمفهوم الحقيقي للكلمة على اعتبار أنها أول قاعدة للضبط الاجتماعي، حيث يقوم الأبوان بإكسابه معايير ومعتقدات وسلوكيات الجماعة تعمل على دفعه نحو التماثل المعياري ،فالطفل حديث الولادة لا يكون ممتلكا ذاتا اجتماعية ،وإن جل سلوكه يكون مدفوعا بغرائزه الفطرية ـالبيولوجية ،لذا فإن سلوكه يكون في هذه المرحلة سلوكا حيوانيا ،لكن الفرق الجوهري بينهما هو أن الطفل له قدرة ناطقة ،وله قدرة ذهنية على إنتاج وتشكيل رموز وإشارات ذات دلالات اجتماعية وثقافية متفق عليها يدركها بحواسه نمكنه من استخدام هذه الرموز والإشارات كوسيلة فاعلة في تواصله وتفاعله مع الآخرين تساعده بتنظيم حياته ضمن جماعات اجتماعية منظمة بشكل عقلاني فضلا عن قيامها بتلقين مختلف الطرق والأساليب التربوية.

وعلى هذا الأساس كان لابد على الأسرة أن تحتل هذه الميزة بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية ووكالاتها باعتبارها نموذجا للجماعة الأولية والتي يقصد بها من وجهة نظر " تشارل كولي بأنها الجماعة صغيرة الحجم والتي تتميز بعلاقات وثيقة ومباشرة وعميقة بين أفرادها(علاء الدين كفافي، 2009، 74).

إن التنشئة الاجتماعية تقوم بتوجيه الكائن البيولوجي نحو سلوكيات ومعايير معينة ، وهذا يعني أن هناك أدوارا اجتماعية تمكن الفرد من أن يشغل مكانات موقعيه في الجماعات التي يعيش في وسطها والأنساق البنائية، بحيث تمثل جسرا موصلا بالمجتمع العام والثقافة الاجتماعية، لذا يتحتم عليه أن يكتسب أدواره الاجتماعية من جماعته الأولية(الأسرة) وباقي أنواع الجماعات التي لابد أن ينخرط فيها كلما تدرج في السلم الاجتماعي لكي يظفر بمكانة اجتماعية تناسبه والتي تربطه بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها. وقبل أن تحدث عن مفهوم كل من العولمة و التنشئة الاجتماعية للطفل، يجدر بنا أن نبرز العلاقة بين مفهوم هذه الأخيرة والتربية،حتى لا يبدوا للقارئ أو السامع أن ثمة قطيعة بينهما لاسيما من الناحية الوظيفية،إذ أن التنشئة الاجتماعية للطفل ما هي في الحقيقة سوى عملية تربوية إجتماعية بوصفها إحدى

العمليات التي يتم من خلالها استمرار المجتمع وتطوره، ولأنها تعديل أو تغيير في سلوك الفرد نتيجة التعرض لخبرات وممارسات معينة، لذلك فهي تعتبر عملية تعلم، وما التربية عملية نمو شامل لشخصية للطفل في جميع جوانبها، تعمل على الوصول به إلى أقصى ما تؤهله له قدراته الطبيعية. يتضح من خلال هذا العرض الموجز في ظاهره الدال في معانيه ومضامينه،أن التنشئة الاجتماعية هي جزء من التربية، وبالتالي فهي أشمل منها.

1. وسائط عملية التنشئة الاجتماعية للطفل

إذا كانت التنشئة الاجتماعية تعتبر جزءا من مفهوم التربية باعتبارها عملية تعلم، إلا أن هذا التعبير لا يحصر وظيفتها فهي أوسع بكثير، إذ يدخل فيها اكتساب الفرد للمواقف والاتجاهات والقيم وأساليب السلوك والعادات والمهارات، فهي كلها أمور تنتقل للطفل عن طريق أوضاع وعلاقات ومؤثرات كثيرة ومتنوعة من خلال مؤسسات مختلفة ومتعددة تعمل جميعها في إطار هدف واحد وهو تشكيل شخصية الطفل وتنشئته تنشئة سوية وإعداده إعدادا متكاملا يتفق مع ظروف الحياة ومتطلبات المجتمع الحديث، فهذه المؤسسات الاجتماعية التي أوجدها المجتمع ما هي إلا آليات أو وسائط للتنشئة الاجتماعية تعمل على تشكيل وصقل شخصية الطفل وتستمر معه طول الحياة. من هذا المنظور يمكن تقسيم وسائط التنشئة الاجتماعية إلى نوعين من المؤسسات:

النوع الأول: مؤسسات ذات التفاعل الإيجابي الكامل:(الأسرة والمدرسة نموذجا): وهي مجموعة المؤسسات ذات التفاعل المزدوج:أي تأثر وتأثير،حيث يتم التفاعل معها عن طريق علاقات متبادلة بين طرفي التفاعل في صورة الحوار والمناقشة مثل المؤسسات والجماعات الأولية والثانوية كالأسرة، المدرسة، الحضانة ورياض الأطفال،النوادي...

النوع الثاني: مؤسسات ذات التفاعل السلبي الجزئي:

وهي مجموعة المؤسسات ذات التفاعل المفرد،أي يكون التفاعل فيها موجها من إحدى الطرفين دون اشتراك الطرف الآخر ،ومن أمثلتها وسائل الإعلام السمع بصرية والمكتوبة ،الكتب والمكتبات،السينما، المسرح...إلخ(السيد عبد القادر شريف، 2005، 15-16).

مهما تكن التعاريف التي يقدمها المختصون في تعريفهم لمفهوم الأسرة، إلا أن وظيفتها يجب أن تهدف لتحقيق هدفين أساسيين هما:

أولا: نمو الطفل نموا نفسيا واجتماعيا، حيث أن هذا الهدف يتحقق بصفة مبدئية عن طريق التفاعل الأسري والذي يلعب دورا هاما في تشكيل شخصية الطفل وتوجيه سلوكه.

ثانيا: نقل الميراث الثقافي والاجتماعي للطفل هذا الأخير الذي تتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل، أما الثقافي منه فيتمثل في نقل المعرفة من جيل إلى جيل والتي تعد بهذا المعنى تطويرا وتنمية للبواعث والقيم التي تربط الأنساق الإجتماعية على نحو متماسك،فقيمة الأمانة مثلا من القيم التي تتأصل في نفسية الطفل من خلال التنشئة الاجتماعية،فهو يتعلم من خلالها الشعور بالقلق من اقتراف الذنب ،ومن خلال ذلك كله فهو يتشرب عن طريق التربية كيف يمكن أن يصبح فردا صالحا في مجتمعه.ومن هنا تظهر أهداف عملية التنشئة الإجتماعية(ملك محمد الطحاوي، 1990، 33).

إن الأسرة هي من توفر للطفل بيئة إنسانية اجتماعية، فالأطفال الذين حرموا من الرعاية الأسرية ممن نشئوا في مؤسسات دور ورعاية أيا كان دورها ومستواها تضررت لديهم معظم جوانب النمو في شخصياتهم ابتداء من النمو الجسمي وانتهاء بالنمو الخلقي والاجتماعي مرورا بالنمو اللغوي والمعرفي والانفعالي ، فهي التي تقابل احتياجات الطفل المختلفة خصوصا الحاجة للأمن والأمان الدفء الأسري، الطمأنينة...إلخ. و على هذا الأساس كان لابد على الأسرة أن تحتل هذه الميزة بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية ووكالاتها باعتبارها نموذجا للجماعة الأولية والتي يقصد بها من وجهة نظر " تشارل كولي بأنها الجماعة صغيرة الحجم والتي تتميز بعلاقات وثيقة ومباشرة وعميقة بين أفرادها(علاء الدين كفافي، 2009، 74- 75).

لكن ما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن الطفل لن يحصل أثناء عملية التنشئة على مطالبه وحاجاته الثانوية المذكورة ما لم يكن نوع العلاقة السائدة داخل الأسرة تقليدية كانت أو حديثة يسوده الاستقرار الأسري، فالعلاقة الأسرية تعد ركيزة أساسية ومحورا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية ،حيث تؤدي السعادة الزوجية إلى تماسك الأسرة مما يخلق جوا يساعد على نمو الطفل إلى شخصية متكاملة ومتزنة (حامد عبد السلام زهران، 1977، 98).

ومن العوامل التي تؤثر في أساليب التنشئة الاجتماعية حجم وعدد أفراد الأسرة الواحدة، الشئ الذي يؤدي إلى التفرقة أو تفضيل بعض الأطفال عن بعضهم حيث يرى عبد الخالق محمد عفيفي نقلا عن السيد عبد القادر شريف أن تناقص حجم الأسرة يعد عاملا من عوامل زيادة الرعاية المبذولة للطفل، فكلما قل حجم الأسرة زاد اهتمام الآباء برعايته وتنشئته تنشئة اجتماعية سوية(السيد عبد القادر شريف، 2005، 68).

ولعل من أهم مميزات الأسرة التقليدية تفضيل الجنس الذكري عن الأنثوي والطفل الأول عن الثاني والأخير يفوز بالمرتبة الأولى عند كثير من الأسر، والخلاصة في ذلك أن أساليب التنشئة تقوم على تكريس هذا التمييز وهذا يعتبر من أهم المخاطر ،حيث تعمل هذه الأساليب على خلق مشاكل وعقد وكدمات نفسية بين الإخوة والأخوات،بما يجعلنا نتوقع نشب غيرة وحسد للمكانة الأسرية التي يتمتع بها بعضهم، فالقيمة العالية للذكور هي التي تدفع الآباء إلى التماس إنجاب الذكر ومحاباته وتفضيله لأنه هو من سيحمل اسمه فيما بعد،(دوافع اقتصادية)، كما أن البنت داخل هذا النوع من الأسر لا تعامل بنفس المعاملة ولن تحظ بنفس المكانة على أساس أن مصيرها الزواج ومن ثمة الانتقال إلى بيت زوجها ومن هنا يأتي تهميش دورها.

إن هذا يجعل الطفل يتبنى سلوك أبيه خصوصا في الأسرة الأبرسية، (زمام السلطة يكون للأب) والعكس صحيح بالنسبة للأم أي أن الشئ ينطبق على الأنثى عندما تحذو ذو والدتها، وعندما يحث تعارض بين الوالدين على مستوى سيطرة أحدهما،فإن ذلك سيخلق صراعا لدى الطفل من حيث اختيار النموذج الأمثل الأمر الذي قد يؤدي به باتجاه مسالك غير سوية، وانطلاقا من هذه الملاحظة نستخلص أن النموذج الأمثل للتنشئة الأسرية السوية ،يتجسد في التكامل النوعي ما بين سلوكات الوالدين.

لكن لابد أن نشير بهذا الصدد أنه رغم التغيرات التي طرأت على الأسرة الحديثة، من حيث حجمها ووظائفها، فإن دورها في عملية تنشئة الطفل ما زال له أهميته ودوره. وقد يرجع احتفاظ الأسرة بدورها الرئيسي في التنشئة إلى مالها من خصائص تميزها عن باقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وترجع هذه الأخيرة إلى عاملين:

الأول: إن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الفرد ويلتقي بها، مما يجعل الطريقة التي يتفاعل بها معه أعضاؤها ونوع العلاقات السائدة تمثل النماذج التي ستتشكل وفقا لها تفاعلاته وعلاقاته الاجتماعية، ويتأثر بها نموه الانفعالي والعاطفي.

الثاني: انها تعتبر النموذج الأمثل لما سماه "كولي" الجماعة الأولية، ومنها جماعة اللعب وجماعة الجيرة (عبد الله زاهي الرشدان، 2005، 308).

2 . العلاقة الأسرية وأثرها في تنشئة الطفل

لكي نستطيع أن نحدد أثر الأسرة في نمو الطفل الاجتماعي وتكوين شخصيته نحلل العلاقات التالية:

أولا. العلاقة بين الوالدين:

- السعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة مما يخلق جوا يساعد على نمو الطفل إلى شخصية متكاملة متزنة.
- الوفاق والعلاقات السوية بين الوالدين تؤدي إلى إشباع حاجة الطفل إلى الأمن النفسي وإلى توافقه الاجتماعي.
- التعاسة الزوجية تؤدي إلى تفكك الأسرة مما يخلق جوا يؤدي إلى نمو الطفل نموا نفسيا غير سليم.
- الخلافات بين الوالدين تخلق توترا يشيع في جو الأسرة مما يؤدي إلى أنماط السلوك المضطرب لدى الطفل كالغيرة والأنانية والخوف والشجار وعدم الاتزان الانفعالي.

ثانيا. الاتجاهات الوالدية نحو الطفل:

- إن نوع العلاقة التي تنشأ بين الوالدين والطفل وطريقة معاملة الوالدين لطفلهما عامل هام في تشكيل شخصية الطفل ،بمعنى تؤثر الاتجاهات الو الدية في تشكيل الشخصية المستقبلية للطفل.
- العلاقات والاتجاهات المشبعة بالحب والقبول والثقة، تساعد الطفل على أن ينمو ويصبح شخصا محبا لغيره ويتقبل الآخرين ويثق فيهم . حيث توصلت دراسة الباحث (موهان،1981) إلى أن بعض الاتجاهات الو الدية السالبة كالرفض ،والحماية الزائدة ،والضغط على الأبناء لتحقيق مستويات أعلى من التحصيل تكون أكثر ظهورا لدى الآباء عنها لدى الأمهات ،حيث تؤثر الاتجاهات الو الدية على مستوى ذكاء الطفل في الأسرة وتؤثر أنماط التفاعل الأسري بين أفراد العائلة على سلوك كل منهم (حامد عبد السلام زهران، 1988، 103).

ثالثا. العلاقة بين الإخوة:

- تؤثر العلاقات بين الإخوة في نمو الشخصية، فالعلاقات المنسجمة بين الإخوة الخالية من تفضيل طفل على طفل ،والخالية من التنافس تؤدي للنمو النفسي السليم للطفل ،بينما يؤدي طفل على الآخر لأنه الأكبر أو الأصغر إلى المنافسة بين الإخوة والكراهية والغيرة ،وهذه العلاقة بين الإخوة تتأثر

بمركز الطفل بين إخوته وأخواته، وقد اهتم علماء النفس بترتيب الطفل بين إخوته وأثر ذلك في شخصيته.

ـ أثبتت الدراسات أن الطفل الأول أكثر ترددا على العيادات النفسية ،ذلك أنه نشأ ووالديه لم يكتسبا بعد الخبرة اللازمة لتربية الأطفال ولم يتم بينهما التوافق الذي يساعدهما على تربية طفلهم ،فينشا غيورا وعدوانيا إذا ما ولد منافسا له.

ـ الطفل الأخير قد يتعرض للتدليل الزائد والتراخي أو الإهمال كما تعرض لهذه الناحية ألفرد أدلر الذي رأى أن الأخ الأصغر يشعر بالنقص نحو أخيه الأصغر ويحاول ان يعوض هذا النقص بإظهار التفوق على من يكبره من إخوته.

ـ الطفل الوحيد غالبا ما يسوء تكيفه وتتأثر شخصيته بالظروف والأساليب التي حدت بوالديه الاقتصار عليه ،كما انه يجد نفسه محاطا بكبار يعجز عن التعامل والأخذ والعطاء منهم ،بينما الطفل الذي ينشأ بين عدد كبير من الإخوة ينمو إلى شخصية متكيفة تكيفا سليما(أحمد عبد العزيز سلامة، 1992، 197).

رابعا. المستوى التعليمي للأسرة:

يعبر المستوى التعليمي للوالدين من أهم العوامل المؤثرة في اتجاهاتهم نحو أبنائهم حيث يؤثر المستوى التعليمي للوالدين على شعورهم بكفاءتهم للقيام بأدوارهم في عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء ولتؤثر في اتجاهاتهم نحوهم لتكون أكثر هدوء وتقبلا .،في هذا المجال قام الباحث (Roy,1950) بدراسة أظهرت أن الآباء من المستوى التعليمي المرتفع يمنحون أطفالهم حرية أكبر من التي يمنحها الآباء من المستوى التعليمي الأقل ،كما توصلت دراسة (Barro,1962) إلى أن الأمهات من المستوى التعليمي المرتفع أكثر ميلا للتسامح في عملية الضبط من الأمهات الأقل تعليما ،كما انهن أقل ميلا للإشراف المباشر أو المطالبة بالإذعان لقواعد محددة للسلوك، كما أوضحت دراسة قام بها (غريب عبد السميع، 1989) أن الأطفال المتفوقين دراسيا يعيشون في جو أسري يتصف بارتفاع التوافق الاجتماعي .وفي دراسة أخرى لـ (علي محمد شعيب، 1998) اتضح من خلالها أن السلوك الشخصي والعلاقة مع المدرسين أفضل عند الأطفال ذوي الآباء المتعلمين مقارنة بمنخفضي التعلم (عبد الوهاب كامل، 1994،135).

يؤثر المستوى الثقافي للأسرة على مدى إدراكها لحاجات الطفل وكيفية إشباعها، والأساليب التربوية التي تتبع في معاملة الطفل وإشباع حاجاته كما يؤثر في مدى إقبال الوالدين على الإستعانة بالجهات المتخصصة بتربية الطفل ،كما يؤثر المستوى التعليمي للأسرة في أساليب التنشئة المستخدمة مع الطفل، فإذا كانت السلطة الأسرية متكافئة تعليميا أدى ذلك إلى استخدام أساليب سوية في التنشئة المتبعة مثل أسلوب الحرية والديمقراطية في المعاملة واحترام شخصية الطفل في المنزل وتنمية شخصيته، وتوفير كافة المعلومات التي يحتاجها الطفل ،واستخدام الأسلوب الذي يحقق الأمن النفسي والذي يقوم على الحب والإستقرار مع مراعاة ثبات نوعية التعامل اتجاهه من طرف الوالدين ...إلخ.

3. المدرسة والثقافة السائدة في المجتمع

تعتبر المدرسة بمثابة البيئة الثانية التي يواصل فيها الطفل نموه واستعداده للحياة المستقبلية، والتي تتعهد القالب الذي صاغه المنزل لشخصيته بالتهذيب والتعديل، بما تهيئه له من نواحي النشاط لمرحلة النمو التي هو فيها(محمد مصطفى زيدان، 1975، 148). أو هي مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع، بقصد تنمية شخصيات الأفراد تنمية متكاملة ليصبحوا أعضاء صالحين فيه(إبراهيم عصمت مطاوع، 1995، 73).

لقد أصبحت المدرسة تقوم بوظيفة رئيسية وهي استمرار ثقافة المجتمع ودوامها، وذلك بان تسهل لأطفال المجتمع عملية امتصاص وتمثل قيم ذلك المجتمع واتجاهاته ومعايير السلوك فيه، وتدربهم على أساليب السلوك التي يرتضيها في المواقف والمناسبات الاجتماعية المختلفة كمؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية. وتؤثر هذه الوظيفة الاجتماعية للمدرسة في خصائصها من حيث العلاقات الاجتماعية القائمة فيها، وبنيتها الاجتماعية، والتفاعلات الدائرة فيها كما تحدد الآليات والأساليب التي تستعملها في عملية التنشئة الاجتماعية، هذا وتعتبر المدرسة الجماعة الثانوية الأولية التي يلتقي بها الفرد أثناء تنشئته اجتماعيا مما يميزها عن غيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية(عبد الله زاهي، 2005، 310-311).

يتبين من خلال هذه الوظيفة أن التنشئة الاجتماعية لم تعد حكرا على الأسرة، أي أن التحولات التي عرفتها المجتمعات العصرية خصوصا في الجوانب الاقتصادية كالتصنيع مثلا أدى إلى إضعاف دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية بكون توزيع العمل لم يعد مرتبطا بتكوين الأسرة،أي أن الأسرة لم تعد هي الوحدة الاقتصادية النواة ،ومن جهة أخرى يكمن من وراء اضطلاع المدرسة بدور التنشئة عامل الوراثة في تحديد المكانة الاجتماعية حيث أصبحت تكتسب هذه المكانة عن طريق التعليم، أي أن مكانة الفرد الاجتماعية تكتسب عن طريـق المدرسة من خلال التنـافسية التي يخوضها في أفق اكتساب مهنة معينة يحقق بها مكانته داخل المجتمع(عبدالكريم غريب، 200 ، 175).

كما يمكن اعتبار المدرسة مؤسسة تربوية ومن أهم مقوماتها وأهدافها إعداد المتعلم وتكامل نموه عقليا وجسميا واجتماعيا ونفسيا وروحيا ،وهذا يتطلب منها مراعاة كل ذلك في أهدافها ومناهجها وأساليبها وأنشطتها وفعاليتها المختلفة ، ومادامت هي كذلك يمكن اعتبارها حجر الزاوية في العملية التربوية والتربوية ، ومع ذلك وبالرغم من الجهود التي بذلتها الدول العربية في توفير فرص التعليم الحديث وتحسين مخرجاته بما يتفق والتداعيات المطلوبة في ظل عولمة عالمية متكاملة حال دونها ودون تحقيق ذلك نظرا لبطئ استجابة التربية لهذه التداعيات والتطورات(ربحي مصطفى عليان، 2010، 17).

أما بخصوص مفهوم الثقافة فهي تعتبر أيضا من بين العوامل المتشابكة والمتداخلة والتي من شانها أن تؤثر في التنشئة الاجتماعية للطفل شأنها في ذلك شان مفهوم العولمة كمفهوم جديد ظهر نتيجة الإفرازات والتطورات الحاصلة في العالم، فلكل ثقافة من الثقافات طابعها الخاص الذي يميزها عن غيرها من الثقافات الأخرى ،فرغم وجود تشابه بين أفراد الثقافة الواحدة إلا أننا قد نجد الاختلاف بين الأفراد في نفس الثقافة الواحدة (كالاختلاف بين أهل الريف والحضر)مثلا،هذا وتعتبر الثقافة نوعا من أنواع الضبط الاجتماعي لأن سلوك أفراد أي مجتمع يكون بالضرورة تعبيرا عن تيارات ثقـافية تأصلت في نفوسهم عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية التي تلقوها في بداية حياتهم وساروا عليها ،وبهذا المعنى تصبح الثقافة عاملا من عوامل التأثير في الحياة الاجتماعية ،وقد يظهر هذا التأثير في سلوك ومعتقدات الأفراد في طقوس الزواج ،حيث تهتم العائلة في كثير من البلدان العربية بزواج أبنائها لما للزواج من أهمية اقتصادية واجتماعية كبيرة،كمشاركة زوجة الابن في العمل المنزلي مع باقي أعضاء الأسرة ،هذا بالإضافة إلى أن إنجابها للأبناء سيزيد من عدد أبناء الأسرة.

ويعتبر المستوى التعليمي للوالدين من أهم العوامل المؤثرة في اتجاهاتهم نحو أبنائهم حيث يؤثر المستوى التعليمي للوالدين على شعورهم بكفاءتهم للقيام بأدوارهم في عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء ولتؤثر في اتجاهاتهم نحوهم لتكون أكثر هدوء وتقبلا. في هذا المجال قام الباحث (Roy,1950) بدراسة أظهرت أن الآباء من المستوى التعليمي المرتفع يمنحون أطفالهم حرية أكبر من التي يمنحها الآباء من المستوى التعليمي الأقل ،كما توصلت دراسة(Barro,1962) إلى أن الأمهات من المستوى التعليمي المرتفع أكثر ميلا للتسامح في عملية الضبط من الأمهات الأقل تعليما، كما أنهن أقل ميلا للإشراف المباشر أو المطالبة بالإذعان لقواعد محددة للسلوك، كما أوضحت دراسة قام بها (غريب عبد السميع،

1989) أن الأطفال المتفوقين دراسيا يعيشون في جو أسري يتصف بارتفاع التوافق الاجتماعي .وفي دراسة أخرى لـ (علي محمد شعيب، 1998) اتضح من خلالها أن السلوك الشخصي والعلاقة مع المدرسين أفضل عند أطفال ذوي الآباء المتعلمين مقارنة بمنخفضي التعلم(عبد الوهاب كامل، 1994، 135).

4. مساهمة وسائل الإعلام وأثرها في عملية التنشئة

تمارس وسائل الإعلام المسموعة والمرئية دورا بارزا كوسيلة من وسائل الترويح الأساسية في كافة المستويات الطبقية في المجتمع العربي ،حيث ينعكس ذلك على أساليب التنشئة الاجتماعية المستخدمة،حيث أدى ظهور هذه الوسائل وانتشارها إلى تغيير اتجاهات الأفراد وتغيير ذهنياتهم خصوصا عن طريق التلفاز الذي يعتبر من أهم هذه الوسائل. إن التلفزيون كأحد هذه الوسائل له فعالية متميزة لكونه يعتمد على حاستي السمع والبصر ،وقد لوحظ أن هذه الوسيلة تستحوذ على اهتمام كامل من جانب الجماهير أكثر من غيرها من الوسائل الأخرى الأمر الذي يجعل قدرة التلفزيون على رفع المستوى الثقافي للشعب أكثر فهو لم يعد ترفا ينعم به الخاصة كما كان الحال عند ظهوره، بل أصبح وسيلة اتصال جماهيرية هامة ومؤثرة في أفكار وقيم واتجاهات الأفراد (السيد عبد القادر شريف، 2005، 75).

إذا كان لهذه الوسيلة الإعلامية لها دورا مؤثرا إيجابيا وهاما في عملية المسايرة الاجتماعية لتنشئة الطفل، حيث تقوم بتزويده بالقيم الاجتماعية وتحقيق الوعي الاجتماعي عن طريق برامج خاصة يمكن أن تقوم بدور هام في تحقيق حاجات الطفل النفسية والاجتماعية،إضافة إلى تقديم برامج دينية تقوم بتنمية الوعي الديني ومن ثمة تقوم إكساب الطفل جوانب التنشئة الاجتماعية، وهذا طبعا يتوقف على طبيعة الأسرة التي يتلقى فيها الطفل تلك القيم والعادات وأساليب التنشئة،فقد يتعمد بعض الوالدين مشاهدة أفلام دينية أمام أبنائهم وهم يحاولون بذلك جذب اهتمامهم لذلك بما يقدمه من مبادئ وقيم سامية من شأنها أن تعمل على تشكيل شخصياتهم وتقويم اتجاهاتهم، وقد لا نجد ذلك في أسر أخرى وربما يتعمدون مشاهدة أفلام تقوم بنقل قيم واتجاهات سلبية وتوريث أنماط سلوكية غير مرغوبة أو حتى غير أخلاقية.

5. العولمة والتنشئة الاجتماعية للطفل

إذا كان إكساب الطفل المبادئ والاتجاهات والقيم الاجتماعية الايجابية من بين أهم الأهداف التي تسعى إليه الأسرة التنشئة الأسرية والعمل على نقلها وغرسها في شخصية الطفل،فإن تحقيق هذا الهدف في ظل مفهوم العولمة ووسائل الإعلام والاتصال المختلفة بات تحقيق ذلك صعب المنال،والسبب في ذلك واضحا وهو أننا لم نعد نواجه وسيلة أو جهاز واحد يمكن التحكم فيه، فالطفل أصبح يواجه مئات المحطات التي تبثها الأقمار الصناعية وكل محطة لها أفكارها ومفاهيمها،وهنا يمكن ان نتساءل عن مدى تأثير هذه الأخيرة في نفسية الطفل، ناهيك عن شبكة الاتصالات الدولية التي تحمل كما هائلا من المعلومات في شتى نواح الحياة المختلفة،فكيف بالطفل إذا ساء استعمالها في غياب المراقبة الأسرية التي أصبحت وللأسف تسجل غيابا في متابعة الطفل نظرا لانشغالها بتحصيل المال والتركيز على توفير الأشياء المادية التي تقتضيها الحياة على حساب الاهتمام بالأبناء وتوفير جو عائلي عنوانه الهدوء والاستقرار والمحاكاة.

إن حقائق العولمة أصبحت أكثر وضوحا على إثر التطورات العلمية الحاصلة في مختلف الميادين والمجالات،لدرجة أن أصبح لها من تعريف وبعد أو شكل، ونتيجة لارتباطها بالثورة المعرفية والمعلوماتية فتحت أمام البشرية آفاقا معرفية لا متناهية، فنحن عندما نتحدث عن العولمة وتعميمها على العلم مثلا إنما نتحدث عن محاولة صياغة العالم وشعوبه وفق وجهة نظر واحدة ،فالفكر الإغريقي حاول

الهيمنة والسيطرة على العالم وصياغته وفق وجهة نظره في العقائد والاجتماع والتربية والأخلاق ومناهج المجتمع والحياة (رسمي علي عابد، 2008، 10).

ومن بين أهم ما افرزه مفهوم العولمة في هذا القرن على غرار الثورة العلمية والمعرفية التي شهدها ولم يسبق لها نظير، شملت من بين ما شملت مختلف ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية والتكنولوجية ،وشهد مولد ميادين علمية جديدة لم تكن معروفة من قبل ،ولم تكن التربية بمنأى عن هذا التطور ،بل كانت من أكثر الميادين تأثرا وتأثيرا به، إذ ظهرت العديد من النظريات والاتجاهات التربوية التي سعت إلى استيعاب الحجم الهائل من العلوم ،والحفاظ على هذا التراث الإنساني من خلال نقله إلى الأجيال المتتالية لتطويره من ناحية ووضعه موضع التطبيق من ناحية أخرى وعملت لتحقيق ذلك على الاستفادة من كل ما أنتجه العلم من نظريات وتطبيقات. وهذا من شأنه أن يبرز أهمية الوعي بالتنشئة الاجتماعية للطفل.

وتعقيبا لما سبق فإنه لن يكون للعولمة مهما كانت إيجابياتها أن تزرع في نفوسنا القيم الإنسانية النبيلة، وسوف نحتاج دائما إلى دفء الإتصال الشخصي والإنساني أولا عن طريق الأسرة وثانيا من خلال وجود معلم يثير في نفوس طلابه معاني القيم والرموز الغالية التي تضئ العقول والقلوب وتدفع مسيرة الإنسان نحو التقدم الحقيقي ،ستظل المدرسة والمعلم هو الحافظ على القيم الإنسانية والثقافة الوطنية والهوية في مجتمعه ،ولا شك أن تلك وظيفة غالية الثمن والقيمة ولن تستطيع التكنولوجيا أو التقدم العلمي تجاوزها(شبل بدران، 2009، 16).

6. الإقتراحات

لتوفير تربية أسرية سوية وتحقيق مستوى مقبول للصحة النفسية للطفل، وكيف يمكن أن نحافظ على توفير تربية أسرية متينة ، يمكن أن نقدم بعض التوصيات لفائدة الأسرة الجزائرية في كيفية التقليل من مخاطر ما أفرزته العولمة رغم إيجابياتها ،فهي تحتاج إلى إعادة النظر وتقويم العديد من الأفكار والعلاقات التي ظهرت بظهورها وكيف أثرت بشكل او بآخر في مؤسسات التنشئة الإجتماعية، ومنها:

- على مستوى الأفكار والسلوك:

✓ تحسيس الأولياء بعدم إغفالهم عن أهداف التنشئة الاجتماعية الأسرية في إطار تمرير القيم الدينية والأخلاقية وكذا المعايير الاجتماعية التي يجب أن تتوافق مع أنماط السلوك المرغوب في المجتمع، وهذا لن يكون إلا من خلال تنظيم تظاهرات علمية وطنية أو دولية وتنظيم ورشات عمل من شانها أن تقدم لنا تقرير نهائي يرفع إلى الجهات المختصة.

✓ التوجيه الصريح، أي توجيه سلوك الطفل بصورة مباشرة وصريحة،فنعلمه ما يكون وما لا يكون، وتدريبهم على السلوك المناسب،مع تهيئة الظروف والمواقف واستغلال مواقف معينة لهذا التوجيه والتدريب.

✓ جحثهم على متابعة أبنائهم ومراقبهم في استعمال الوسائل التكنولوجية كالحاسوب والانترنيت.. والجلوس معهم لمشاهدة ما يقومون به وما يشاهدون.

✓ إفهام الطفل بأن الكومبيوتر أو الحاسوب هو الذي يأخذ المعلومات منا ولبس العكس ، حتى لا يصبح عقله آليا وبالتالي قد تفقد قدراته العقلية وما تتضمنه من عمليات المعنى الذي خلقها الله من اجلها (الاكتشاف، الإبداع، البحث...إلخ).

✓ عدم السماح لطفل بالاتصال عن طريق الانترنيت دون التأكد من طبيعة المواقع التي يزورها.

✓ عدم صرف أكثر من نصف ساعة في اليوم مع الحاسوب ،وكذا انتقاء البرامج التلفزيونية بما يتفق مع مستوى نمو الطفل وما يبث فيها من أفكار قد تحمل إيديولوجيات أو معتقدات قد لا تتفق مع إيديولوجياتنا ومعتقداتنا من جهة أخرى.

- على مستوى العلاقات:

✓ ضرورة خلق جو أسري بين الوالدين والأبناء، جو يسوده الحب والأمن والدفء الأسري بما ينعكس إيجابا على تكوين شخصية الطفل و على بناء اتجاهاته النفسية التي من شأنها أن تقوم بإعادة تنظيم دوافعه النفسية الاجتماعية وحتى دوافعه المعرفية، فالطفل لا يتأثر بشخصية الأب أو شخصية الأم بقدر ما يتأثر بالعلاقة الموجودة بينهما.

✓ تحقيق فرص النمو عن طريق تطبيع الطفل في انخراطه إجتماعيا في مختلف مؤسسات التنشئة الإجتماعية المتاحة، وتكوين جماعات الرفاق التي تقتضيها عمليات الإندماج خصوصا (المسجد، المدرسة، النادي....إلخ.

✓ تكثيف النزهات والاحتكاك مع الطبيعة وتطبيع الطفل إلى تكوين علاقات إيجابية مع جماعة الرفاق التي توافق عليها الأسرة(خصوصا في مجتمعنا الذي أصبحت فيه الوحدة أحسن من تكوين أصدقاء قد يجرون الطفل إلى منزلقات قد تسبب في مشاكل أسرية أو قد تؤدي حتى إلى السجن في بعض الأحيان)- أقول، عوض البقاء في المنزل واستعمال هذه القنوات الاتصالية لفترات زمنية قد تفوق الخيال.

✓ عدم التفرقة والتفضيل بين الأبناء بحسب متغير الجنس، لأن هذا قد يؤدي إلى الغيرة والكراهية بينهم.

✓ حثُّ الأبناء على زيارة الأقارب والمداومة على ذلك خصوصا في المناسبات الدينية امتثالا لتعاليم ديننا الحنيف وعدم الاكتفاء باستعمال الهاتف النقال في كثير من الحالات،لأن ذلك سيبعدنا عن قيمنا وهذا ما تسعى العولمة لتكريسه في اعتقادنا.

✓ تفادي الاتجاهات الوالدية السالبة كالرفض، الحماية الزائدة، والضغط على الأبناء لتحقيق مستويات أعلى من التحصيل تكون أكثر ظهورا عند الآباء عنها لدى الأمهات...إلخ.

7. خاتمة

لا يتسع بنا المقام في مداخلة أن نفي هذه العناصر حقها ،فالموضوع تتدخل فيه متغيرات كثيرة ومتنوعة ناهيك عن طبيعته الذي يتميز بالتعقيد رغم أن هناك إقرار من قبل المتخصصين لأساليب وطرق تربوية ومؤسسات التنشئة الاجتماعية التي من شانها أن تعمل على تحسين العلاقات في الأسر ومن ثم تعمل على ترقيتها بما يتفق مع مفهوم العالمية والعولمة في دنيا التقنيات. ورغم أن هناك دراسات أصبحت تعد لهذا الغرض لكنها تبقى نسبية ولا يمكن لها أن ترق إلى مستوى عال في تعميم نتائجها إلا ما تقره نتائج العينة للمجتمع الإحصائي الذي أخذت منه، خصوصا في ظل التحولات والتطورات التي انعكست على المجتمعات ومفهوم التربية على وجه الخصوص الشيء الذي أدى بطء استجابة التربية لها ليس بنفس السرعة والوتيرة كما تعمل العلوم الدقيقة والتجريبية ،ولكن نأمل كدارسين أنه إذا لم تكن هي كذلك أن تكون استجابة نوعية لكل قضايا المجتمع النفسية والإجتماعية بكل مؤسساته والتي من شانها أن تؤثر على التطور الحاصل بما يعود بالفائدة على الإنسانية.

المراجع

إبراهيم عصمت مطاوع. (1995). أصول التربية، الطبعة السابعة، دار الفكر العربي، القاهرة. مصر.

أحمد سلامة. (1992). علم النفس الإجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت.

السيد عبد القادر شريف. (2005). التنشئة الإجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، دار الفكر العربي/القاهرة.

حامد عبد السلام زهران. (1988). علم النفس الاجتماعي، الطبعة الرابعة عالم الكتب، القاهرة.

ربحي مصطفى عليان. (2010). المكتبات المدرسية ،الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع .

رسمي علي عابد. (2008). العولمة والتربية ،الطبعة الأولى، دار جرير للنشر والتوزيع.

صلاح الدين كفافي.(2009). علم النفس الأسري، الطبعة الأولى، دار الفكر، المملكة الأردنية.

عبد الكريم غريب.(2009). سوسيولوجيا المدرسة، ،منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب.
عبد الله زاهي الرشدان. (2005). التربية والتنشئة الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر. المملكة الأردنية.
عبد الله زاهي الرشدان.(2005). التربية والتنشئة الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر. المم الأردنية.
عبد الوهاب كامل. (1994). سيكولوجيا السلوك الإجتماعي والإتصال ،مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
عبد الوهاب كامل. (1994). سيكولوجيا السلوك الإجتماعي والإتصال ،مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
علي أحمد محمد الزعيبي. (2001). أسس علم النفس الاجتماعي، دار زهران، عمان، الأردن.
محمد مصطفى زيدان.(1975). دراسة سيكولوجية تربوية لتلميذ التعليم العام، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.
معن خليل عمر.(2004). التنشئة الإجتماعية، الطبعة العربية الأولى ،دار الشروق للنشر والتوزيع.
معن خليل عمر.(2004). علم اجتماع الأسرة، الطبعة العربية الأولى. دار الشروق للنشر والتوزيع.